المقدمة

- أهمية الموضوع - الدراسات التى ظهرت فيه.
- خطة البحث وتبويبه العام.
- تحليل لأهم المصادر الأجنبية والعربية.

احتلت أرمينيه موقعا وسطا بين القوى العظمى فى العصور الوسطى ، فكانت تعد دولة حاجزة بين الإمبراطورية الرومانية والدولة الفارسية ، وهذا الموقع عرضها لنزاعات كثيرة على مر العصور ، سواء بين الرومان والفرس ، أو بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الفارسية ، ثم بين العرب المسلمين والبيزنطيين فيما بينهما . وما يهمنا فى هذا البحث هو وضع دولة أرمينية بين الإمبراطورية البيزنطية وبلاد فارس فى القرن السادس عامة وأحوال أرمينية إبان فترة حكم جستنيان خاصة ويتجلى أثر ذلك الوضع بطبيعة الحال على أهل البلاد الأصليين وعلاقاتهم مع كل من القوتين ، حيث تباينت هذه العلاقات بين الود والعداء والسلب والإيجاب ، وذلك حسب تعاظم قوة كل من الفريقين . وكذلك رغبة أهل البلاد فى الاستقلال عن كلتيهما .

ومما لا شك فيه أن أرمينية كانت الضحية أو تفاحة الشقاق كما يقال ، فنجد أن أغلب الحروب بين تلك القوى كان مسرحها الأرض الأرمينية . ونتج عن ذلك أن تأرجحت أرمينية بين إحتلال الرومان لها طورا ، ثم الفرس طورا آخر ، ثم اقتسامها بينهما حينا من الزمن ، وحصولها على الاستقلال وحكمها ذاتيا حينا آخر .

وتعد فترة حكم جستنيان (٥٢٧ – ٥٦٥م) ذات أهمية بالغة ، ليس فقط فى تاريخ الأمبراطورية البيزنطية فحسب ، ولكن أيضا فى تاريخ أرمينية ومما لاشك فيه أن القطعية الدينية بين الإمبراطورية البيزنطية وأرمينية عقب مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م ، ولفظ الأرمن لمقررات هذا المجمع كانت بالغة الأثر على العلاقات السياسية بينهما . ففى حين أظهر الملك الساسانى قباذ الأول (٤٨٨ – ٤٩٨ ، ٥٠١ – ٥٣١م) Kavad I ، ثم ابنه كسرى الأول أنشروان (٥٣١ – ٥٧٩م) التسامح نحو المسيحين حتى ظهر ذلك من أهم سمات عصرهما ، كانت القسطنطينية فى عصر الإمبراطور جستين الأول Justin I (٥١٨ – ٥٢٧ م) ، تحاول فرض المذهب الخلقدونى على البلاد الخاضعة لسيادتها . وبذلك اكتسبت حقد الكنيسة الأرمينية .

إداريا ، وحربيا ، ليتمكن من صد هجمات الفرس عليها فأصدر مرسومه الإمبراطورى الشهير فى ١٨ مارس سنة ٥٣٦ م ،ليعيد بموجبه تنظيم أقاليم أرمينية .

فقد قسمها أربعة أقاليم هى : -

أ- أرمينيـــة الأولى وعاصـــمتها لنتـوبوليس **Leantopolis** .

ب- أرمينية الثانية وعاصمتها سباتيا (سيواس) **Sebastea** .

جـ- أرمينيـــة الثالثـــة وعاصـــمتها ملطيـــة **Melitene** .

د- أرمينيـــة الرابعـــة وعاصمتها مارتيروبوليس (ميافارقين) .

ولم يكتفى جستنيان بإعادة تنظيم أقاليم أرمينية إداريا ، بل أعقب هذه القوانين والمراسيم بقانون ثالث عام ٥٣٤ م ، خاص بإلغاء قوانين الأنساب وتنظيم قوانين تولية الحكم والمناصب ، ثم أردف ذلك بالقانون الخاص بالإرث . الذ يساوى فيه بين الرجل والمرأة فى الميراث . بعد أن كان الميراث مقصوراً على الرجال دون النساء طبقا للنظم القبلية والإقطاعية . وذلك للحفاظ على وحدة أراضى كبار رجال الإقطاع من التجزئة فكان هذا المرسوم وسيلة قوية للحد من نفوذ أمراء الإقطاع وسلطاتهم التى كانت تمثل عائقا أمام محاولات بسط السيادة البيزنطية على البلاد .

والملاحظ أن جستنيان مارس طوال عهده سياسة القضاء على الهوية والقومية الأرمينية ، وكذلك نظام الإقطاع فى أرمينية . وكان يهدف من إصلاحاته الإدارية محاولة تحويل البلاد إلى طابع رومانى ذات حضارة هيلينية ، وليست أرمينية ذات حضارة أرمينية . لذا أضحت هذه الفترة دون مغالاة من أهم الفترات فى تاريخ أرمينية

لما تركته من أثار ظهرت فيما بعد فى صورة العداء والحقد المتبادل بين الأرمن والبيزنطيين . مما حدا بالأرمن إلى الارتماء فى أحضان العرب المسلمين للتخلص من سلطة البيزنطيين .

ومن هذا المنطلق وقع اختيارنا على موضوع البحث وجعلنا عنوانه " أرمينية فى فترة حكم جستنان " (٥٢٧-٥٦٥م) لعله يسد فجوةً فى تاريخ أرمينية بصفة خاصة والمكتبة العربية بصفه عامه . حيث لم يظهر كتاب مكتوب باللغة العربية حتى الآن يعالج أحداث هذا الموضوع .

وجدير بالذكر أنه لم تكن أهمية الفترة الزمنية المعاصره لموضوع البحث هى الواقع الأول لاختيار مثل هذا الموضوع ،وإنما غموضها وإحجام المؤرخين المحدثين من العرب عن ولجها . حتى خلت المكتبة العربية وربما الأجنبية من دراسة متكاملة عن أحوال أرمينية إبان الفترة موضوع البحث وتنظيمات جستنيان بها ، وكذلك رد فعل الأرمن تجاه هذه الإصلاحات . والحقيقة أن المصادر والمراجع الأجنبية والعربية لم تتناول هذه الفترة بالدرس والتحليل ، فنجد أن أغلب هذه المراجع تتناولها فى صفحات لا تتعدى أصابع اليد الواحدة . بينما تناولها البعض الآخر فى أسطر معدودة ، فى حين مر عليها آخرون مرور الكرام .

أما ما كتبه المؤرخون والمحدثون بالعربية عن تاريخ الأرمن إبان هذه الفترة فهو قدر قليل . فضلا عن أنه جاء ضمن كتاباتهم عن العلاقات بين دولة الفرس والإمبراطورية البيزنطية ، أو تاريخ الأرمن عامة . كما أن بعض هذه الكتب غير متخصصة . وإن تصدى البعض لدراسة تفصيلية عن تاريخ الأرمن من أمثال الأستاذ الدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور ببحثه القيم عن مملكة أرمينية الصغرى . الأستاذ الدكتور / فايز نجيب إسكندر ببحثه عن مملكة أرمينية الصغرى بين

الصليبين والماليك وهى رسالة دكتوراه لم تطبع بعد ، وكذلك أبحاثه الوفيرة فى تاريخ الأرمن . والأستاذ الدكتور / صابر محمد دياب فجميعهم كتبوا بحوثهم عن الفترة اللاحقة لموضوع البحث .

ومما ذكر آنفا من ظروف متشابكة معقدة ، نتيجة غموض الأحداث وقلة المعلومات فى المصادر الأصلية وتناثرها وتناقضها وكذلك عدم تناول المراجع والمصادر لهذه الفترة بالبحث والتحليل رغم ذلك فقد ولجنا الموضوع بحثا عن حقيقة أحوال أرمينية فى تلك الفترة وانعكاس ذلك على الأرمن فيما بعد . اعتمادا على المعلومات المتناثرة التى لا تشفى الغليل فى معظم المصادر الأصلية .

مما حتم علينا دراسة أهم المصادر التى تناولت أحداث فترة البحث سواء جغرافية أو تاريخيه . مركزين فى هذه الدراسة على مدى إسهاماتها فى معالجة فصول البحث والمادة التى قدمتها . وبفضل ما وصلنا إليه من مادة علمية من المصادر الأصلية ، وتمحيص الروايات فى الأصول الأرمينية والسريانية والبيزنطية والإسلامية. فضلا عن وجهات النظر التى أمدتنا بها المراجع الحديثة من أوربية وعربية .

أمكننا التوصل لتقصى دور الإمبراطور جستنيان فى أرمينية وما استجد من تنظيمات عسكرية ومدنية واجتماعية بالإضافة إلى الخلافات الدينية بين الكنيسة الأرمينية والكنيسة البيزنطية . وكذلك رد فعل الأرمن تجاه هذه التنظيات إبان الفترة الزمنية موضوع البحث والعمل على إلقاء الضوء لإجلاء الغموض الذى اكتنف تاريخ أرمينية فى هذه الفترة (٥٢٧ - ٥٦٥) .

وقد خصص الباحث لهذا الموضوع أربعة فصول . خصص الفصل الأول منها بعنوان : أرمينية : جذورها التاريخية - اسماؤها المختلفة - وجغرافيتُها .

وتناول فيه الأرمن بحثا عن أصولهم العرقية وتسمياتهم وكذلك اشتقاق اسم هايستان وأرمينية . وكذلك جغرافية بلاد أرمينية من موقع وتضاريس وما تضمه من جبال وأنهار وبحيرات ومناخ ، ومالهم من تأثير واضح على الأرمن سواء فى حروبهم أو زراعتهم . كذلك تناول تقسيم أرمينية التاريخية بين الفرس والبيزنطية وأثر ذلك على أرمينية و الشعب الأرمنى,ولم يغفل الباحث أيضا تتبع خط الحدود بين أرمينية الشرقية والتى خضعت للفرس ، وأرمينية الغربية والتى آلت للإمبراطورية البيزنطية . وذلك بعد التقسيم وقبيل فترة جستنيان ، وأهم المدن الحدودية بينهما وتبدأ من دارا- نصيبين - أكياس كلومارون - أفمون - فيسون ، كليزورى - أرتاليسون ، ثيودسيوبوليس .

والفصل الثانى بعنوان " أرمينية قبيل عصر الإمبراطور جستنيان " (٥٠٠-٥٢٧م) . وفيه عالج الباحث التقسيمات السياسية فى أرمينية حيث ألقى الضوء على أرمينية الكبرى ، الإمارات المستقلة والتى تمتعت بحكم ذاتى تحت سيادة بيزنطة . وأخيرا أرمينية الصغرى . ولم نغفل أيضا دراسة التركيب الطبقى للمجتمع فى أرمينيه الشرقية والذى يتكون من المرزبان ، رؤساء القبائل ، ورؤساء العشائر ثم سواد الشعب. وكذلك عرض الباحث للتركيب الطبقى للمجتمع فى أرمينية الغربية ويتكون من الكونت، أشراف الأرمن ، طبقة الأحرار ، طبقة الفلاحين والأقنان ، وطبقة رجال الدين مع توضيح الاختلافات بين الطبقات . ثم عرضنا لأهم الأسر الإقطاعية فى أرمينية ووظائف كل أسرة منها . ولم يغفل الباحث أيضا استعراض الحياة السياسية فى أرمينية الغربية قبيل جستنيان ، واستعراض جيش أرمينية وفرقه وتوزيعاته . وناهيا الفصل بدراسة للعلاقات المالية بين أرمينية والإمبراطورية البيزنطية .

والفصل الثالث بعنوان " التنظيمات العسكرية والمدنية للإمبراطور جستنيان فى أرمينية " فمهد الباحث لذلك بدراسة لطموح جستنيان العسكرى ، وأسباب إصلاحات

جستنيان العسكرية . وعرضنا لمرسوم جستنيان الخاص بالتنظيمات العسكرية فى أرمينية ، ثم تحليل المؤرخ حنا مالالاس للمرسوم . ثم تناول الباحث التحصينات التى أقامها الإمبراطور جستنيان على حدود أرمينية الغربية بالوصف والدراسة . ولم تغفل الدراسة فى هذا الفصل تنظيمات جستنيان المدنية فى أرمينية . فبدأها بعرض لإصلاح الجهاز الإدارى فى أرمينية ثم تقسيم أرمينية الغربية إلى أربعة أقاليم إدارية هى أرمينية الأولى وعاصمتها ليونتوبوليس وعين عليها حاكم أنعم عليه بطبقة المحترمين . وأرمينية الثانية وعاصمتها سباستيا وتولى السلطة بها حاكم عادى . أما أرمينية الثالثة وعاصمتها ملطية وعين لها حاكم برتبة كونت وأنعم عليه بطبقة المحترمين . وأخيرا أرمينية الرابعة وعاصمتها ميافارقين وحكمها قنصل عادى . وانتهى الفصل بتنظيمات جستنيان بخصوص الإرث ، وفرض القوانين الرومانية على الأرمن وتنظيم الزواج فى أرمينية .

والفصل الرابع بعنوان الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية فى أرمينية .

وقد عرض الباحث للصراع الفارسى البيزنطى على حدود أرمينية ، ودبلوماسية جستنيان فى فض النزاع الفارسى البيزنطى . ثم تناول أحوال أرمينية الإقتصادية من زراعى ورعى وصيد ، ثم الصناعة ومدى توافر مقوماتها ، وكذلك موقع أرمينية وأثره فى التجارة العالمية وأثر الرخاء الاقتصادى فى أرمينية على الإمبراطورية البيزنطية وعالج الباحث موقف الأرمن من إصلاحات جستنيان ومحاولته تقويض المجتمع الأرمنى بتهجير الأرمن من بلادهم وإحلال جنسيات أخرى مكانهم . ولم يغفل الباحث إظهار دور الأرمن فى الإمبراطورية البيزنطية . وكذلك دراسة الخلاف المذهبى وسياسة جستنيان الدينية فى أرمينية . ثم أنهى الباحث الفصل بدراسة للحياة الفكرية والثقافية فى أرمينية وأثرها فى التاريخ الأرمنى .

وأخيرا خصص الباحث الخاتمة لرصد أهم النتائج والاستنتاجات التى أمكننا التوصل إليها .

كما ألحقنا بالبحث مجموعة من الخرائط لتوضيح طبيعة أرمينية جغرافيا من تضاريس ومرتفعات وأنهار وبحيرات . وأنهيت البحث بملاحق تضمنت المرسوم الخاص بتقسيم أرمينية إلى أربعة أقاليم إدارية.والثانى ، فيما يتعلق بنظام الإرث بين الأرمنيين وأخيرا المرسوم الخاص بتطبيق القوانين الرومانية على أرمينية .

وختاما ، والحق أقول إن هذا العمل لم يكن ثمرة جهدى وحدى ، فإن نكران الفضل جحود ، وذلك أمر غير محمود وليس من الوفاء فى شيئ . ولا يسعنى فى هذا المجال إلا أن أقدم جزيل شكرى وامتنانى إلى أستاذى الأستاذ الدكتور / أسامة زكى زيد . أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة طنطا ، أسدى عظيم شكرى وخالص امتنانى لما تعلمته على يديه . وقبول إشرافه على هذا العمل ،وما أفاض علىَّ طوال فترة إعداد هذا البحث والتى تقرب من سبع سنوات ، من فيض فكره ، وبحر علمه الزاخر فأنار لى الطريق ، وذلل الصعاب ، وأقام المعوج من الأفكار .

وفى محراب العرفان أرفع أسمى آيات الشكر إلى الأستاذ الدكتور / فايز نجيب إسكندر أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة الزقازيق فرع بنها . لما تعلمته على يديه فى مرحلة دراستى الجامعية وإشرافه على البحث فى بعض مراحله الأولى . ولم يبخل على بعلمه وإرشاداته القويمة التى صقلت البحث والباحث ، فضلا عما أمدنى به من المصادر الأصلية عزَّ الحصول عليها دون مساعدته . فقد فتح للباحث مكتبته الخاصة وما تحويه من مؤلفات عن الأرمن ، أعانت كثيرا فى إنجاز هذا العمل المتواضع .

كما أتقدم بأسمى آيات الشكر إلى روح الأستاذه الدكتوره / سوسن نصر أستاذ التاريخ الإسلامى . فقد تتلمذت على يديها دارسا فى المرحلة الجامعية ، وتفضلها بالمشاركة فى الإشراف على هذا العمل فى بعض مراحله . فجزاها ا لله عز وجل عنى خير الجزاء واسكنها فسيح جناته .

وإلى الأستاذه الدكتورة / صفاء حافظ الأستاذ المساعد بقسم التاريخ الإسلامى بجامعة الزقازيق فرع بنها خالص شكرى لما قدمته للباحث من إرشادات وتوجيهات أفادت الباحث كثيرا .

ولايفوتنى أن أشكر الأستاذ الدكتور / محمد مرسى الشيخ أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة الإسكندرية لتفضله بالإشتراك فى المناقشة رغم أعبائه الكثيرة وضيق وقته . والأستاذ الدكتور / وسام عبد العزيز فرج أستاذ تاريخ العصور الوسطى وعميد كلية الآداب جامعة المنصورة على تفضل سيادته بالإشتراك فى المناقشة رغم مسئولياته الجسام ، فأشكره جزيل الشكر .

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نشكر كل من قدم يدا فى إنجاز هذا العمل ، وأخص السادة الأفاضل زملائى ورؤسائى فى العمل لتشجيعهم الذى لا حدود له ، وروحهم الطيبة لى طوال فترة إعداد البحث .وإلى كل العاملين بمكتبات جامعة القاهرة ، والجامعة الأميركية ، ودار الكتب المصرية ،ودير الآباء الدومينيكان ،ودير الآباء الفرنسيسكان ومكتبة البطريركية الأرمينية بالقاهرة . كما أتوجه بالشكر للأب زافين تشينشنيان مطران الأرمن الأرثوذكس بالقاهرة ، حيث أمدنا بكثير من المراجع وذلل لنا الكثير من المصاعب وإلى الأستاذ أسبيد نوبار أرتينيان أمين مكتبة البطريركية ، حيث أعاننى كثيرا بترجمته النصوص باللغة الأرمينية . فلهم جميعا شكرى وعرفانى ، ومن ا لله خير الجزاء .

وإنى لعلى يقين أن كلمات تتلى فى محراب الشكر والعرفان غير كافية ، غير أن قلمى لايملك سواها ، وإن كان قلبى يحمل لهم بين ثناياه الكثير .

وهذا العمل المتواضع هو غاية جهدى ، فيعلم ا لله تعالى أنى ما ادَّخرت جهدا فى تحصيل علمه ، وما عرفت طريقا ولم أسلكه ، وما سمعت عن أستاذ فى التخصص وإلا ونهلت من علمه ، فإن وفقت فى بعضه فمن عند ا لله ، وما أخطأت فيه فحسبى أننى اجتهدت ، والقصور سمة الإنسان ، والكمال اختصه ا لله سبحانه وتعالى به نفسه .

وا لله أسأل التوفيق والسداد